

رواية

سرطانية تتحدى

دنيا مراد الجزائري

كتوباتي
kotobati

سرطانية تتحدى

رواية

بقلم:

دنيازاد الجزائري

الكتاب: سرطانية تتحدى.

النوع: رواية.

تأليف: دنيا زاد الجزائري.

تصميم الغلاف والتنسيق الداخلي: مكتبة كُتوباتي.

النشر الإلكتروني: Kotobati.com

www.kotobati.com

kotobati@gmail.com

إصدار 2021.

جميع الحقوق محفوظة.

سرطانية تتحدى

"اذا اردت النجاح فاستيقظ باكرا وابتسم وأغلق أبوابا حديدية على الماضي الذي لم يتبقى منه الا التجارب وأغلق ابوابا حديدية على المستقبل الذي لم يأت بعد....وعش يومك بالتفاؤل".

اهداء:

إلى كل من ضاقت به دروب الحياة الوعرة، أنت
تستطيع ! لا تستسلم، كل ما عليك فعله ان تمضي
قدما...إياك ان تتيه بين الطرقات المحبطة،
أحلامك بانتظارك.....

مع تحياتي. ...

لقد مضت الأيام بسرعة، وكبرنا... اين كنا؟! واين نحن الآن؟! كل ما بالدنيا من احوال، انقلب وتغير كل شيء، وفاتت الصور والذكريات والسنين امام أعيننا هكذا! بلمح البصر، كأنها لم تكن يوماً، كشريط سينمائي يعرض عليك، فتقول: "كأنه قد حصل معي في يوم ما"، اجل، فالزمن خدعنا بكل بساطة، والدنيا ستزول وتفني، "كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام"، لا مفر من المصير والقدر، كما انه لا مفر من الابتلاءات، والاصطدام بتقلبات الدهر كرة بعد كرة، إلى اين ستهرب؟ لا مجال للاختباء من الحقيقة وخشية مواجهة الواقع، لاننا لولاها لما استطعنا إحراز التقدم إلى الأمام، لقد تعلمنا من الحياة اشياء كثيرة، كل الأمور السلبية و الايجابية التي صادفناها أخذنا منها عبر وحكم، فالأمور السلبية التي اخذناها على محمل الجد وتعاملنا معها بقوة، أعطتنا نتيجة ايجابية، ودرس لا ينسى، فلا يجب على الانسان أن يحاول تناسي كل ما مر به من ظروف، أوجاع، افراح، مشاكل، احزان.. لانها كانت يوماً ما هي الدافع الذي اوصلنا لما نعيشه اليوم في حاضرنا، هناك من تضحكنا حين نتذكرها كأمر طريف

مر بنا، بينما هناك من تستحق لتعيد لها الشكر و
الامتنان لانها جعلتك اقوى، ولأنك قاومت فأكيد
ستجعلك فخورا بنفسك وفخورا لما انت عليه، فكل
الابتلاءات ما كتبت عليك، لولا ان الله يعرف انك
تستطيع حلها، لتثبت نفسك أنك قادر على تحمل
الاعباء، وانك تستطيع المسير ولما لا؟ وما دام ان
الله ابتلاك، فاعرف انه يحبك، فمن غير المعقول
مقابلة تلك المحبة العظيمة بالفشل والانهيـار. او
يمكن هذا؟

تمضي السنين وتتوالى الاشهر والليالي... فتأكل من
 عمرنا ما تأكله، كما تأكل النار الحطب... لا تبقى سوى
 الذكريات التي يشدنا اليها الحنين بين نفحات الزمن،
 وننتظر بفضول ما تبقى لنا، يتقلب بنا الدهر بين
 لحظات سعادة وفترات حزن وانهماك، تسود امامنا
 الحياة، فننتيه هنا وهناك، في عالم يحيط به السواد
 من كل جانب، وتصاب أعيننا بالضرر، ونعجز عن
 رؤية ما حولنا، نلقى العتمة في طريقنا... لقد غادرنا
 الشتاء سريعاً، كأنه لم يلبث... فصل مليء بأهازيج
 البرق واصوات العاصفة، مع الأجواء الممطرة. .. كم
 سأشتاق إليها، كل ما أحبه في تلك الأجواء تفاصيل
 صغيرة، قهوة وكتاب!... وها نحن استقبلنا فصلاً
 اخر بحلته الجديدة، انه الربيع! فصل يدب فينا روح
 الحياة، ويوقظها من جديد بعد سبات كامل،
 نصصح مرة ثانية في فصل الجمال والحلة
 الزاهية، واجمل شيء ان نستمتع بسطوع الشمس في
 حلتها الذهبية المزخرفة، كأن الدنيا عادت من
 جديد. . والروح الحلوة انشرفت لعبيق ياسمين
 الربيع، اغصان الاقحوان. ازهار مرصعة
 بالذهب.. الوان متناسقة متوهجة... انه اجمل فصل!

انوار الشمس المطللة في ود ومحبة، تستشعر جماله
في كل شيء، ان للربيع لون خاص في اندونيسيا، انها
جنة الله على الارض.

نعم اندونيسيا، التي كانت في يوم ما، جزءا من احلامي
كنت انوي زيارتها، الا انني اليوم مقيمة بها، وفي قلب
البلد، اقصد عاصمتها "جاكرتا" كان يشدني الشوق
اليها، حتى اليوم ها انا فيها، كان ينتابني الفضول
حول جامعاتها، جامعة جاكرتا الحكومية، جامعة
ترسكتي، بت اعرف الكثير من الاماكن فيها، مثلا:
بوغور مدينة جميلة في جوا الغربية، يأتيها العديد
من الزوار للترويح عن انفسهم، والبلدة القديمة في
جاكرتا المتميزة بأبنيتها واروقتها التاريخية الرائعة،
اما اماكني المفضلة فيها المنتزهات، كمنتزه عالم
البحار في منطقة انشول، هو مكان خيالي بل شديد
الروعة، يتجول فيه الزائرين داخل انابيب زجاجية
وسط المياه، هذا ما احبه! استمتع فيه بلحظات
رائعة، كأنما تشاهد نفسك كأنك تغوص داخل مياه
محيطها، وهو يعرض اصناف الكائنات البحرية،
بالاضافة لمنتزه اندونيسيا الصغيرة التي تتجول فيها
بواسطة قطار صغير او قوارب صغيرة، تأخذك لزيارة
اجمل جزر التي تختلف عن غيرها بغض النظر عن
جمال مناظرها، كجزيرة بالي و سومطرة وغيرها، كما

تزور المعابد القديمة والمساجد التاريخية..
بالمناسبة، نسيت ان اخبركم اني اصبحت كاتبة،
لطالما كان هذا مرادي الذي اصبو اليه، والحمد لله
قد وصلت الى احلامي، بالرغم ما قد مر بي،
واستأجرت شقة في منطقة بالقرب من انشول،
بسحرها الساحر في مناظرها، قريبة من الشاطئ، لكي
ادفن احزاني كلما شعرت بضيق هناك. كل شيء يرد
النفس للسكون، ويهدئ اعصابي، هذا هو علاجي،
بعد ان افترت الطرق التي كانت في حياتي.. كل يوم
استيقظ فيه على رنات العصافير الجميلة، ونسمات
البحر العابرة، انهض لأتأمل جمال السماء الصافية
بلونها، واتمتع من شرفتي بالنسيم العليل، ألبث
لحظات وانا أراقب ما حولي، عادة لا أتناول فطوري،
لكني احضر شاي النعنع لأنتعش، واعدود الى شرفتي
لأستمع بصباحي الرائع، وانا ارتشف الشاي في هدوء
وعلى مهل، واتصفح مجالات كعادي، لقد قرأت ذات
مرة عن معاناة المرأة وتكبتها في عنائها وعيشها، فاذا
بي عدت للوراء قليلا، وعدت بأدراجي الى الماضي،
حسنا، لنبدأ من جديد في رحلة معرفتي لذاتي...

انا ادعى "همسة" لقد كنت طفلة شابة في مقتبل عمري، كنت يتيمة الأب، الذي كان سندي وعمادي في هذه الحياة بعد أن توفي إثر ازمة قلبية، لم يورثني شيء سوى اسمه وهذا يكفيني فخرا واعتزازا، لم يترك سوى دموع الحزن والأسى التي حطمتني، وحيدة بين حطام القهر، ترعرعت في عائلة بسيطة ميسورة، اي ان وضعنا المادي كان جيد، لقد كنت وحيدة والداي، كما يقال "البكر" المولود الاول والاخير، كان والداي لا يرفضان لي طلبا، كنت اعيش في أتم السعادة، بين احضان والداي، إلى ان فوجئت بخبر وفاة والدي، الذي تلقيته كالصاعقة، اذكر وقتها اني عشت في عزلة طيلة 10 اشهر، ولم أكن اخرج من غرفتي، او كنت كباقي الناس، لقد ترك في حياتي فراغا لم يملأه احد، بل إني اصبحت يتيمة، جسد بلا روح! فرقنا الموت، وضعت في دوامة المتاهات، شعرت لوهلة اني حقا لست موجودة في الحياة، كيف تغيرت موازين حياتي، اعجز عن فتح عيوني وهي ضريرة، ضريرة لأنها فقدت من ملأ عيني به،

فقدت ابي، احسست وكأني فقدت السيطرة على
المشي، يا الهي! ما هذا العجز، لقد فشلت... نسيت
أمي!؟ كيف امكنني ذلك!؟ نسيت امي واهملت
مشاعرها وهي التي كانت تتفقدني كل دقيقة، كي لا
اغيب عن اعينها، وهي موجوعة بقلبها المحروق،
ولا تمسح دمعته، رغم ذلك بقيت قوية لأجلي،
لكني لم اكن بوعي، ولم ادرك ما حصل لي، تربطت
يادي وقدماي، تمزقت روحي ولم استطع ايجاد
نفسي، توقفت لنعي والدي رحمه الله تعالى، ثم ها
هنا حاولت استرجاع قولي مجددا... لأقف بجانب
امي. لا اقول اني استطعت لكن على الأقل قمت
بالمحاولة، وخرجت من تلك العزلة، وساندت
والدي في مصابها... كنت أبتسم بالرغم من انهيار،
أخدعهم بإبتسامتي أحاول قتل الحزن الذي ارتبط
بي، أحاول ان لا يشعر الآخرون ما بداخلي، رغم ان
الكتمان، اصعب جريمة ارتكبتها في حق نفسي،
هجرت حياتي، وما لهجراني من وداع! ضاقت بي أماني
الحياة ليتها كانت أماني تشتري، كنت شبه معاق
يحاول الوقوف على قدميه مرة أخرى، بعدما أفضل
الزمن قدماه، وقفت مجددا على قدمي... قررت
الصمود ولكن بقلبي كم هائل من التحسر والخيبة،

واصلت مسيري، رغم أنني بت كلاجئة، لا مأوى لها
أو مشردة لا تعرف الطريق، لكني مشيت وما بي من
إحساس، أكملت حياتي، وتجاوزت الأمر...

ومضيت انا و والدتي لحياة مختلفة، غير تلك الحياة
التي عشناها سابقا.. لكن السيناريو الأسوأ الذي
حصل معي هو نظرة المجتمع لليتيم، هناك من
ينظر إلي بشفقة، تمام! إني يتيمة، فقدت أبا، عادي
إذا تعاطفنا مع يتيم، لكن ليس بتلك المبالغة، لا
أحتاج لأن أكون صغيرة في أعين أحد، ولم أكن أحتاج
لشفقة مخلوق علي، كل ما كنت أحتاجه السند
والدعم، وهناك من ينظر لليتيم نظرة تطرف
وعنصرية، كأن آباء الآخرين كلهم
سيخلدون! يستهزؤون بي، ويحتقروني قائلين: "ارحلي
يا يتيمة"، الشيء المحبب في شخصيتي هو أنني كنت
لا أبالي بمن حولي، و لا أهتم لكلام الناس، في
حضوري وغيابي، لأن إرضاءهم امر صعب،
والأصعب منه أن تقضي حياتك وأنت تستمع لما
يقولونه لك، وتجعلهم كأداة لتحطيم ذاتك، وفقدان
معنوياتك النفسية، لقد تجاوزته أيضا ومضى... لم
يكن بالأمر الهين، لكني ما تمنيت ان يحدث ذلك، إنما
قدر علي، كان قضاء من الله، وأنا قبلته، لأن مقاومة

الألم تستحق المحاولة، بدلا من ان أستسلم
للضعف والتهاون، لم أختَرِ التعاسة...

لأننا نحن من نصوب طريقنا في النهاية، وعلى هذا
الأساس نصادف المصير الذي اخترنا نحن أن نسير
إليه دون أي ضغط من أحد بكامل قوانا العقلية
والجسدية، فنلنا ما نستحق نيله! هكذا هو الأمر
بالنسبة لي. لم اخترها إطلاقا، بل بابها قد طرق بابي
في إحدى ليالي الشتاء القاسية، ففتحت لها، ولم
تنتظر طويلا حتى استولت علي، وسيطرت على
جسدي وعقلي وتفكيري وروحي. فأصبحت كلعبة
بين أيديها، لم أكن أدرك أنها أتتني مختالة في عباءة
شخص بريء، حتى خدعتني وأصبحت تسيرني كيفما
شاءت، حتى قررت أن أواجهها، لم أكن قوية كفاية
لأقف في وجهها، ولكني استطعت حل الأمر في
النهاية. ..وانتهى الأمر على خير، او ربما كان كذلك !

بعد مرور 6 سنوات من رحيل والدي... انتقلنا
للعيش في سكن جديد، بعيد عن المنطقة التي
أمضيت فيها طفولتي وأجمل سنين حياتي.. هذا أمر
آخر أحزني وكسر بخاطري، أمر محزن أن تترك
رائحة ماضيك في مكان تركت فيه ذكرياتي، وملامح
طفولتي مع رفاقي الذين ترعرعت معهم وكبرت،
فهناك خطيت أول خطواتي، وهناك تعلمت كيف
أنطق اسم "ماما وبابا"...

وهناك دفنت الحكايا والأسرار، وبين ثنايا الصمت،
انطفئت الأنوار، وحل الظلام... وغادرنا المنزل في
ليلة دافئة.. تناديننا الطرقات التي تسكعنا فيها يوما
ومررنا بها أيام، "يا أحبائي لا ترحلوا!"، يخيل في ذهني
أصوات وصراخ... فألتفت من حولي، لعلي أجد من
يعيدنا للديار، لا ألمح سوى العتمة، وبقايا سكون،
وأغمضت عينا في السير خشية الألم، ففي كل زقاق
لي حكاية، ولكل شيء في شارعنا كان له قيمة، أماكن
عنت لي الكثير، من هناك بدأت أحلام تراءت
لي.. ومن هناك خلقت في المهده، وهناك شعرت

بالفرح والسكينة لأبعد الحدود، غصة في قلبي
تجتاحني، لا أريد الرحيل، سلام عليك يا أبتى...
هناك قد تركتنا، وهناك قد افترق الشمل، أتظن يا
أبتى أنه سيمر يوم دون أن أتذكر ذاك المكان، أتظن
أن الوداع كان سهلا علي، لقد غادرت بيتنا يا أبتى،
وغادرت بقايا روحي، رفعت يدي ملوحة برحيل
أبدي، وسقطت في منتصف حيننا أبكي، وأحاطت بي
سكاكين الغدر، أتذكر! في هذا الحي سقطت لأول
مرة منهارة على الأرض، فأتيت وحملتني بين
أضلعك، نسيت آلامي ونسيت أحزاني، أما يوم
غادرت البيت وسقطت، لم يأبى لأمرى أحد، بقيت
على الأرض حتى قمت لوحدي، لم يشعر بي مخلوق،
صرخت الآهات ما بيني وبين نفسي ولم يسمعني
أحد، لم أجد يد العون..

عرفنا حياة جديدة، بيت جديد، أصدقاء جدد،
 ومدرسة جديدة... يعني أن كل شيء تجدد من حولي،
 أحاول أن ألتف إلى ورائي قليلا، لم أكن أستطيع، قد
 بدأت الوحدة تتسرب لعالمي، ضاق الكون علي، لم
 تمنحني الأيام لا دفئا ولا أمانا، أوليس مرحب بي في
 هذه الحياة؟! ثقلت أنفاسي، لا أدري بما شعرت في
 داخلي، لازلت أنتظر معجزة من معجزات القدر
 لتعيدني للحياة، أو تعيد الحياة لي، فتحت صفحة
 جديدة، بلا تردد، وطويت صفحة الماضي، فقد
 كنت ما زلت أمتلك حقا في بدايات جديدة، دخلت
 المدرسة وتعرفت على أساتذة جدد، وأصدقاء
 جدد، كنت أنا اليتيمة الوحيدة في صفّي، وعادت
 نظرة الإحتقار تلك لليتيم مرة أخرى، أن تكون يتيما
 يعني أن تعيش في وسط لا يرحم، أن تتعرض لجميع
 أنواع الظلم، وتتعذب أشد أنواع العذاب، أن تكون
 بدون سند، كبناء بدون أساس، كلما مررت من
 الرواق أرى الفتيات كيف يتهامون فيما بينهم علي،
 ويسمعونني من الكلام ما يجرح فؤادي ويكسر
 ذاتي.. كلما التقيتهم في الممرات أسمع ضحكهم
 الصاخب الذي يؤذيني وتتساقط من يدي أوراق تنثر
 هنا وهناك، وأتعر كالبلاء، ودموعي تنسكب على

خدي، وأنحني لأجمع ما سقط بين يداي وألملم ما بقي من كرامتي، وأرحل مسرعة، وأقول "لماذا لست مثلهن؟"، وفي كل مرة أفشل فيها، أقرر أن أحاول وأعيد نفس الخطأ وأخفق، لأنني لا زلت ألمح الألم بين عيوني، وأرى نفسي غارقة في الفشل والإخفاق، وأنعت من طرفهم ب"الحمقاء"، أعود إلى منزلي بخيبة أمل ترويه عيوني.

أطرق بابنا، تفتح لي أمي وتستقبلني بابتسامة عريضة على شفيتها، لتغمرنى بحنانها، وأنا ماذا أفعل؟ أبادلها بوجهي العبوس، وجفون جافة، كأزهار ذابلة، لم يأن الربيع لكي تفتح، وهي بانتظاره لكنه لم يأت، أتوجه لغرفتي أرمي بحقيبتى وأستلقي على سريري بعد أن انهمكت في التعب، رغم أنني لم أبذل جهداً أو أفعل شيئاً يستحق التعب، إنما هكذا فقط، تعب لا مبرر له... وأشعر بمرارة الحياة من حولي، أذهب كي أبحث عن شيء أسد به جوعي، يا ليتته كان يسد وجعي، فشعوري بالوجع أكبر من شعوري بالجوع، كان اليوم الموالي يوم عطلة، استيقظت باكراً لأول مرة في حياتي، أخذت حماماً دافئاً عله يهدئني، جهزت فطوري وعدت لغرفتي، بينما أتأملها، صوبت خطواتي نحو المرأة، حتى المرأة خدعتني! تعكس

صورتني، أو بالأحرى صورة تشبهنني، نعم تشبهنني كثيرا، هذه ملامحي !هل هذه أنا؟ لا، لايمكن أن أكون أنا، لأن هذه الصورة أو هاته الفتاة مبتسمة وترتسم على وجنتيها فرح شديد، أما أنا لا يوجد على وجهي سوى آثار طبعها الأسي على خدي، لكن ما الذي أتى بها إلى مرآتي، أنا كنت أريد رؤية نفسي...وفجأة إختفت صورتها من أمامي، وظهرت بدلها صورة أخرى، فتاة غريبة الأطوار، فتاة أسكتها ألم الجسد، ولم تنعشها الكلمات...تائهة بريئة في لونها، كل ملامحها تعبر عن البؤس، يسكن داخلها الشقاء، تماما، هذه تشبهنني كثيرا، أكثر من الفتاة الأخرى، تعاني الوحدة، وتخبي كل شيء بداخلها، وداخلها سينفجر، وحيدة منعزلة وكئيبة، تماما إنها أنا، وهذه صورتني التي تعبر عني، مدت يدها نحوي فأمسكت بها وشعرت بيدها الدافئة، ونزلت دمعة من عيوني ثم ابتعدت عن المرأة وصرخت في وجهها:
_ ارحلي من هنا، من أنت؟ ماذا تريدن. هيا ارحلي...

تعتريني نظرات حزن عابرة من تلك الفتاة، فأصرخ فيها مرة أخرى:

_ قلت لك ارحلي، ألا تسمعين...

وإذا بيد ناعمة يفيض وجدانها حنانا تلامسني، توضع
على كتفي، لأستدير وأنا منزعجة جدا، أجدها أمي:

_ ما الذي حدث؟ ما بك تصرخين وعلى من؟

_ أمي، إنها.....(استدرت للمرأة ولا أجد تلك الفتاة،
ترى أين اختفت، أين هيا الآن؟)

_ لا شيء....لا تهتمي للأمر أمي، فقط إني متعبة..

_ حسنا، ارتاحي قليلا...

أغلقت باب غرفتي، ونظرت في كل زاوية من زواياها،
باحثة عن تلك الفتاة، لقد رحلت! حسنا، لا
يهم.... شعرت بالتعب حقا، فأغمضت عيني
وأخذت قيلولة لبضع ساعات، أحيانا تنهكنا المشاعر
بقدر ما ينهكنا الوجد، نهضت بعد ان شعرت
بتحسن، ووقفت أمام المرأة لأتحدى نفسي، من أنا؟
من أكون؟ لماذا تغيرت؟ لقد غرقت في الحزن
وأغرقتني إلى أعماقي، حتى اعتدت عليه، وأصبح رفيق
دربي، نسيت أن في الحياة أشياء شتى تمنحنا فرصة
أخرى للعيش، ولنحيا من جديد أريد الابتعاد عن كل
شيء يحزنني ويثقل كاهلي، لأني لم أعد أتحمل،
أرغب في السفر طويلا عبر زمن يمحي ذاكرتي ويعيدني
مرة أخرى إلى الوجود، قتلتي الوحداية، مللت من
حياة الكآبة هاته، لم أجد كلمات أنعي بها
نفسي... جلست ووضعت سماعات أستمع
للأغاني، وها أنا ذا أقف للمرة الثالثة أمام مرآتي، لقد
كنت شابة مفعمة بالحيوية والتفاؤل، ما الذي
حصل؟ واجهت المرأة بصراحتي، وكففت عن
دموعي قائلة لها:

_ لن اسمح لجروحي بأن تحولني لغير طبيعتي، لن
أسمح لأحد بتدمير عزيمتي أو أن يعيقني احد....

وبدأت التهيات وسخرية الفتيات مني تتراى في
مخيلتي، وأخرستها بكلمة واحدة "إني أستطيع
وسأنجح"، كنت أردد كلماتي وأنا مغمضة
العينين، حتى إذا ما فتحتهما أجد نفسي أنعم براحة،
وأبتسم تلقائياً دون أن يزعجني الأمر، ها أنا قد عدت
من جديد، اشتقت لنسختي الحقيقية، اختفت
ملامح الحزن العميق، وذهبت في اليوم الموالي
للمدرسة، تجولت في ساحاتها بكل سرور، لقد
استغرب الجميع من حالتي، فهم اعتادوا على أن أكون
حزينة أو باكية، لكنهم يرونني مختلفة، دخلت صفي
وأنا كلي فرح، واستمتعت بحصصي، أصبحت أدرس
بجد، وأطمح لأن أقرأ وأرتقي، كان ذلك مناي، بدأت
أقرأ في معظم أوقاتي الفارغة، حتى أحي استغربت كيف
تحولت بين ليلة وضحاها، أصبحت أفعل أشياء
كثيرة بمفردي، دون أن أشعر بالوحدة، أسعدني
الوقت الذي أمضيته مع نفسي وتعرفت فيه على
شخصيتي وطورت من ذاتي قليلاً، أتمشى بمفردي،
الهو... كان هذا الوجود ضرورياً بالنسبة لي. ...

وشيناً فشيئاً، بدأت اسمو وأرتقي، بنجاحاتي في
مسيرتي الدراسية، لأنني نظرت للحياة من زاوية
أخرى، لذا تغلبت على مصاعبها، ولم أتراجع لأن

النجاح استغرق مني وقتا...بدأت في مشروع الكتابة،
وصرت كمدونة تسعى لنيل لقب الكاتبة، كتاباتي لقت
صدى واسعا، وتقرب مني الجميع، حتى أساتذة
الصف أصبحت قريبة منهم، ونلت اهتماما واسعا
بكتاباتي، كنت سعيدة لما حققت، وبنفسي لقدرتها
على التأقلم، وصلت لضفة الأمل، وجدت من آمنوا
بحكايتي وخيالي... واحترموا أحزاني ونثرت الفرح على
نفسي، واحتفظت بالماضي لكي أستطيع المسير دون
رجوع، بت أنعم بالسكينة وأنام قريرة العينين دون
وجع.

وبعد حصاد المواسم المتعبة التي امتازت بنجاحات متواصلة، بدأت أتعرض لوعكة صحية كل فترة، وكثرت تغيباتي عن المدرسة لفترة، بدأت أشعر بالضجيج في رأسي، وعالم يكبر بداخله كل يوم، احس بالصداع بشكل متكرر، أشعر بالغثيان كل صباح، حتى إني أصبحت لا ارى جيدا، رؤيتي ضبابية في الأيام الأخيرة، ضعف توازني وتغير مزاجي، وفقدت التركيز على نفسي وعلى محيطي، تشتت أفكاري، حتى ذاكرتي بدت تقل تدريجيا، دوما منهكة متكاسلة، لم اترك لا مسكنات لألم الصداع، ولا أعشاب... لكن رأسي لم يتوقف عن ضجيجه، ثم قررت العودة للدراسة، فلا جدوى من البقاء في البيت، كل يوم يزداد وضعي سوءا، أتمشى في الأروقة، أسمع أصواتا وصراخا في رأسي، اوقفوا الصراخ؟! وأكمل السير، وأحيانا اتعثر على الأرض، فأحاول جاهدة لأن أمسك بنفسني تارة اخرى، وبدأت أفضل في امتحاناتي، رغم أني بذلت جهدا أكبر ودرست، الكل مستهزئ بي، لأنني لم أتربع على عرش النجاح طويلا، أخفقت 99 مرة وفي المرة 100 قررت بأن لا أسمح للفشل أن يغلبني، وفشلت اصبحت كلمة "فاشلة"

"تزعجني في منامي وتراودني في ذهني، أسمعها كلما
حاولت أخطو خطوات صحيحة أتراجع، يمكنني ان
أصف شعور المحاولة مع الإخفاق والخيبة، وحيدة
في عالمي مترددة مما يلاحقني، وهو الفشل ورأي
دائما، ليوقعني في قبضة الإخفاق، انهض من نومي
مرعبة متصببة بالعرق من رؤياي، وفي كل مرة أبكي
منهارة، ثم أعود لأفتح كتي وأحاكيها دون أن
تجاوبني، حتى قلبي وأوراق البيضاء التي رافقتني طيلة
مساري، تركتها وانقطعت عنها، ولم أجد لها مبررا أو
عذرا، رغم أن كتاباتي كانت تشجعني وقت إرهاقي
ويأسي.. ..

كنت أحاول أن أجد أجوبة مقنعة لتساؤلاتي... ولم
 اجد! انحنيت لواقع الفشل وفي أحلك اللحظات،
 استسلمت... لم أعد قادرة، وما بيدي من حيلة،
 توقفت عن كل شيء، لا أريد سوى هدوء العالم
 داخل رأسي، وراحة في جسدي، أي ريح هبت علي،
 فأهلكت مشاعري وأفكاري وآمالي، عاصفة تضرب
 على نوافذي، كلما حاولت أن أنجح في امر ما! أصبح
 الوضع أكثر تعقيدا، وعالمي بات أغرب من الخيال،
 فوضى في كل مكان! توقفي كرامة لله، ربما كان
 مصيري أن أستمر في الظلام الدامس، أعيش الخيبة،
 وأتعرض للفراق والخسارة، من الرائع أن يعيش
 الإنسان لحظات سعيدة، متخليا عن واقع ماضيه
 المؤلم بحق، دافعا إياه لارتكاب حماقة منه، لكن
 الزمن غدري دون سابق إنذار، تطايرت علي قذائف
 الهموم واليأس، حتى البكاء ملني، لا شيء لأفعله،
 سأكمل طريقي إلى أن تعود العاصفة، عليها تعيدني
 لطريق الصواب، عائدة للمدرسة مطأطأة الرأس، لا
 أرى أحد ولا أحد يراني، معتزلة الجميع دون أن ألفظ
 بكلمة، حتى حان وقت الفرصة، أمشي لدقيقتين

ويبدأ رأسي بالصداع، صراخ يتهافت علي، بكاء
ونحيب ! ما هذا بحق السماء؟!

إن رأسي لن يتركني وشأني... كل الليالي مستيقظة
بسببه، كلما أمشي أسمع نفس الأصوات، وعيناوي
يغشيها الضباب.

كفي ؛كفي ؛كفي !!

وما إن تقدمت قليلا، حتى أرى الجميع ملتفت إلي
ينظرون في استغراب "ما بال تلك الفتاة"، وهنا لم
اعد أطيق المشي، سقطت على الأرض مغماة
وتساقطت الكتب وأنا بدون وعي، ماذا هناك؟!

سمعت أقداما صوتها يطرق الارض، تتقدم باتجاهي،
من أنت؟! مهلا؛ إنه أبي يمد لي يده، وأنا عاجزة، على
النهوض لأمسك بها، مهلا يا ابي لا تتركني !يبتسم لي
كما تعودت عليه، ويردد بصوت منخفض "تعال،
هيا تعالي"، لم أستطع الوصول إلى يده، هلا تقدمت
قليلا؟ أراه يبتعد أكثر فأكثر، توقف....

وفي تلك الأثناء استيقظت، اجد نفسي نائمة على
السرير، وإضاءة قوية تغشي بصري، أين أنا؟!

استيقظت بسرعة باحثة عن ابي، فتحت الباب
وركضت في الرواق...سامحك الله يا أبتى، أين
ذهبت، تدعني اركض وأنا في هذه الحالة !

وجدت نفسي أمام غرفة بابها مفتوح قليلا، إنها
آنسة الصف، ما الذي جاء بها؟ أدركت فيما بعد أنني
في المستشفى، لكن كيف وصلت، سمعت الحديث
الذي دار بين الأنسة والطبيبة ويا ليتني لم أسمعه..

_ هل تقربك المريضة؟

_ نعم دكتورة، قريبي وانا آنستها في الصف، هل هي
بخير؟

_ لا أعرف ماذا أقول لك ! لكن وضعها الصحي
متدهور جدا...

_ كيف؟ اخفتني كثيرا، ما بها؟

_ متأسفة لقول ذلك، لكن المريضة مصابة
بالسرطان...

هنا توقفت قليلا، مستغربة مندهشة، أقالت:
"سرطان! ماذا يعني؟" واصلت الأنسة حديثها.

_ سرطان ! كيف ذلك؟ أي سرطان هذا؟

_ بحسب الفحوصات الإشعاعية التي أجريناها للمريضة، إضافة للتصوير الطبقي المحوري للدماغ، والرنين المغناطيسي، شخصنا حالتها، مع الأسف لديها ورم في الرأس.. ..

لم اعرف ماذا أفعل؟ أبكي أم أضحك، كل ذلك الوجد الذي وصفته بالعالم الداخلي للرأس، وشاركني كبري في كل يوم من حياتي، كان ورم أهذا يعقل؟ لما؟ لم أكن أعرف معنى السرطان او الأورام، لكنني ادركت أنه قاتل. ...

_ دكتورة؛ يعني هل سنفقد الفتاة! ما الحل؟

_ رجاء أخبري عائلتها، يمكن معالجتها عن طريق الأشعة والمعالجة الكيميائية، قد نضطر لإجراء عملية جراحية لاستئصال الورم، لكن ينبغي البدء بجلسات المعالجة...

_ ما هو اسوء احتمال ممكن حدوثه إذا أجرت العملية؛ حضرة الدكتور؟

هناك احتمال الشلل التام، واحتمال أيضا أن نفقد المريضة...

عدت لغرفتي وانا ما زلت في حيرة من أمري، كيف يكون السرطان، يعني أني سأموت، جلست و على وجهي تعابير الصدمة مما سمعت، لبثت لحظات حتى جاءت إلي الأنسة تبتسم، كيف جاء من قلبها أن تخفي عني امرا كهذا.

همسة، لقد اخبرتني الطبيبة أنك بخير، لكن ستخضعين لبعض الفحوصات....

هل أنا حقا بخير؟! كيف يمكن أن أكون ! لقد سمعت كل شيء....

ماذا؟! لا يا همسة، انتي بخير صدقيني، الأمر لا يستدعي القلق...

مصابة بالسرطان، سأموت ؛وتقولين أنني بخير...

همسة.....!!

أريد العودة للبيت،

بالرغم من إصرارهم على بقائي إلا أنني ترجيت الآنسة
لتخرجني، لا اتحمل أكثر...

_ حسنا؛ سأوصلك للمنزل. ..

_ لا شكرا، استطيع الذهاب وحدي...

_ كيف ! أنتي مريضة ولستي بخير. ..

_ انا بخير، وكل شيء على ما يرام، أريد البقاء لوحدي
قليلا....

صارت والدنيا تدور بي، كل شيء اصبح بلا لون، قد
 فقدت الحياة طعمها، كسرت جناحي، بعد كل مرة
 اخضعتني الدنيا للوح، وأجبرتني على السقوط،
 كبلت روحي بالأغلال، عاتبت الأقدار وروحي
 والزمان، ثم إلى أين ! أين أمضي؟ لا مكان لي في هذه
 الحياة ليحتويني، ليس لي نصيب من السعادة والفرح،
 منحنتي وجعا في غير موضع وتلذذت بالآلام، ضاق
 بي العيش... اتحسر على نفسي، ليس بسبب الموت،
 لكن؛ لم أعش أي شيء، خططت أحلاما ورسمت
 أهدافا وبنيت أماني لي، سأكون وأكون، ثم لا شيء
 ! أتدركون معنى أن تقضي حياتك هكذا، وتذهب
 سدى، كأني ما خلقت، ثناقت على ظهري حمال
 وبلاو، لم تحملها الجبال، كيف لا أرضخ؟! وقد
 عانيت ورأيت من حياتي ما رأيت، والآن ماذا؟ ماذا
 سيحدث لي؟ شيء ما بين ثنايا روحي يعزيني بنفسي،
 سرت والشتاء قسى علي أكثر بعد قسوة الحياة،
 بدأت الأمطار تهطل بغزارة، عندما كان يسقط
 المطر، كنت أجلس أمام نافذتي، أتأمل قطرات الماء
 التي تنزل عليها، استمتع بالجو كيف يصبح رائعا،
 رائحة التربة تملأ المكان، أما هنا فأنا أمشي وتلك

المياه تتساقط علي وأنا محبطة من نفسي، أشعر
بالسوء لم أحس بتلك الأجواء الباردة، التي حلت،
تسقط دموعي كما تسقط مياه الامطار، أتراها
تساقطت حزنا علي، ام لترويني من نبع فيضها! ربما
لترافقني في حزني فأنا وحيدة... تتلبد الغيوم وتصبح
السماء سوداء كما هو حال

قلبي، لا اعرف شيئا سوى البكاء، ذابت الجفون،
فراغ رهيب يسكنني، أستمع لصوت المطر الذي
يعزف على اوتاره ألحان النغم، يطرب المسامع، اما
أصوات الرعد تخيفني، تجعلني أشد رعبا مما حل
بي...

وصلت إلى المنزل، طرقت الباب، ما من احد
!توجهت للباب الخلفي من المنزل، ودخلت غرفتي،
ملابسي تبللت من المطر، اغلقت ستائر النوافذ،
أصبح المكان مظلماً، نعم، هكذا واقعي، واقع مظلم
وعلي تقبله، بدأت أصرخ، واكسر أي شيء من حولي،
إلى ان طفقت وارتميت على سريري، كطفلة صغيرة،
وانيني لا يكف، لماذا يحدث معي هذا؟ لما في كل مرة
اقاوم تكسري الظروف؟ لماذا لم يتبين مرضي بعد
وفاة والدي لكنت ارتحت، لما حتى الآن؟! أغلقت
عيني من شدة البأس، ونمت إلى أن سمعت صوت
هاتف يرن يا له من أمر مزعج؟! بدأت أفتح عيني
وكأني استيقظت من غيبوبة، ابحت عن الهاتف، لا
بد انه شخص مجهول، من سيتصل في مثل هذا
الوقت.. .

- الو، من معي؟

- مرحبا همسة، أنا استاذتك أنتي بخير؟... .

- بخير... . شكرا لك... .

- هل أخبرتي والدتك بالموضوع؟

- أي موضوع؟! -

- انك مريضة، آسفة، لكن إن لم تخبريها سأضطر
للتحدث معها شخصيا عن وضعك الصحي. . .

- حسنا، سأخبرها بنفسي، امنحيني بعض الوقت
رجاء. . .

توجهت مطلة على نافذتي لقد توقف المطر
واشرقت الشمس بعد غياب، من جديد؛مهلا ! انه
قوس قزح ! يالا ألوانه البراقة، كم جميل !! لكن هاته
الاشياء لا تناسبني، نسيت تغيير ملابسي المبللة لقد
نمت بها. ..

حتى جاءت امي تطرق الباب

- همسة

-ماذا هناك؟

- هل انتي بخير؟! (لماذا الجميع يسالني ان كنت
بخير؟ هل من الواضح اني سأكون كذلك!؟)

- هاه امي بخير

رتبت المكان بعد ان كان الفوضى عارمة , سببتها
من غضبي وجنوني ,سأجن عن قريب، اهلكني
التفكير وانا اخمن كيف سأقول لأمي الأمر كيف
سأشرحه. ضميري يعذبني وروحي تختنق كنت
بحاجة إلى التنفس، لا ادري كيف سيمضي الامر، كان

لا بد لي من إشغال نفسي عن امي حتى لا تدري.
وصلت الى المدرسة صباح اليوم الموالي. ... دخلت
الاستاذة , تلقي علينا التحية وتملي علينا الواجب
وتشرح لنا ما مضى الى ان رن الجرس جمعت اغراضى
وادواتي ووضعت راسي على الطاولة ترى كيف
ساخبر امي بالامر؟ انت الانسة مرة اخرى حاولت
الهرب من الساحة يا لحظي السيء!

_ توقفي همسة... هل كنتي ستهريين؟

_ (بسخرية): من؛ أنا؟! ولما الهرب؟...

_ هل أخبرتي والدتك بخصوص الأمر الذي تحدثنا
فيه؟

بقيت صامتة دون إجابة، أحدق بعيوني يمينا
وشمالا، لا أدري ما سأقوله.

_ حسنا، سأعطيك آخر فرصة لتتكلمي معها...

مضى 15 يوما وأنا في البيت، لم اذهب لدراستي، ولا خرجت من غرفتي، محتارة من أمري، لقد تغيرت كثيرا، وجهي صار شاحبا، واصفر كل جسدي، واختلجت نفسي، ودارت بي الأرض، غصت في اللوعة والحسرة، اختنقت من كل شيء حولي، حياتي، بيتي...بت منكسرة، أجر خطي الأسي، حياتي أضحت خالية، لا بهجة فيها ولا سرور، بالسواد ممتلئة، تأتيني أُمي في كل يوم طارقة الباب بصوتها الباكي، لا أرد ولا أفتح، ولما الرد؟ وإن سألتني، ماذا أجيب؟! أنا إبنة 13 ربيعا؛ سأموت! وبماذا؟ بورم في الرأس؛ سرطان!.....يا ليت صدري ينشرح، وتوضع عن اوزاري الهموم المثقلة، كرهت من أن أمشي بثبات، وفي داخلي ألف جرح وجرح..مع كل صباح جديد، يتولد لدي شقاء جديد، ما بين ظلمة العتمة، وضوء النور، هنالك أقف...ما بين دعائي ورجائي، أتثبت؛ تراكمت أحزان روحي، وتوقفت نبضات القلب، فما بين الحياة والموت، يسكنني الخوف.

كثرت اتصالات الهاتف، وما من أحد يرد، في اليوم
15 من تغيبى... شخص ما يطرق الباب توجهت
مسرعة، لأني شككت في أمر الاتصالات الغريبة،
فتحت الباب ويديا ترتجفان. ..آه، الحمد لله ؛إنه
ساعي البريد....

_ أهلا، تفضل..

_ أليس هذا بيت السيدة أمانى الحكيم؟..

_ أجل سيدي..

_ هذه رسالة وصلتها اليوم (ناديتها
لتستلم...)، وقعت أمي على الاستلام، وأغلقت
الباب، تركت امي، لبثت لحظات حتى سمعت صوت
صراخها علي.. ..

_ همسة، همسة تعالي إلى هنا حالا...

خرجت أركض مرعبة من صوتها، ماذا هناك؟.
..وجدت أمي جالسة منحنية الرأس، هادئة... لكن

ملامح وجهها لا تعبر عن ذلك، غضب وحزن شديد
يعتري نظراتها الغريبة. ..

_ لماذا لم تقولي لي من البداية؟

_ (استغربت من الأمر): ماذا؟ .. ما الذي أقوله؛ عما
تتحدثين؟

_ خذي اقربي....

يا للصدمة هذه رسالة الأنسة تخبر فيها أمي، عما
جرى في المدرسة، وعن مرضي بالكامل... يا لي من
غبية! كيف لم اتوقع هذا؟ لما لم أرى من المرسل،
او اتفقد الرسالة.... ترى كيف ستكون ردة فعل أمي.

..

_ أمي. .. أنا... أنا ما كنت أريد هذا..... (قاطعني
بانزعاج)

_ ما كنتي تريدین ماذا؟ أن تخبريني، لما لم
تقولي.... لما أخفيتي الامر... لكنت وقفت معك لآخر
لحظة..

_ أمي صدقيني، كنت سأخبرك في الوقت المناسب، لكن الفرصة لم تسمح....

_ أي فرصة؟! وأي وقت مناسب؟.. متى كنتي ستفضلين علي وتخبريني، حين موتك مثلاً؟! أأدري من الناس أنك مريضة بالسرطان، ولم تخبريني...

_ آسفة أمي.. لم أقصد...

_ هل سيرر الإعتذار خطيئتك.. سنجرب العلاج وإن لزم الأمر ستخضعين للعلاج....

_ لكني لا أريد، أعرف انك قلقة بشأني.. لكن هذا مستحيل، افهمتي امي؟! مستحيل أن يحصل...

_ لما لا تريدين؟... سأفعل كل شيء كي تشفي، ستصبحين بخير.. ثقي بي!

_ لا، لن اكون بخير... سأموت!... السرطان قاتل! قاتل يا أمي...

_ اقتربت مني، ومسحت بيديها على رأسي، ومسحت دموعي بكل حنية منها ولطف، وقالت:

_عزيزتي... لاتقنطي من رحمة الله، لابد ان يكون
هناك حل، فلكل داء دواء...

_ (ابتعدت عنها وانا اجهش بالبكاء): إلا السرطان....
لم يكتشف له دواء، ولم يعرف اصل الداء...

_ لكن هناك امل بالشفاء، وهناك طرق المعالجة
الكيميائية، والاشعاعية.. واذا قالو نجري عملية،
فلنقم بها... سأدفع كل ما أملك لتكوني بخير....

_ ما الفائدة هاه؟! يضيع مالك بلا منفعة، لن ينجح
اي شيء... ثم انك لم تسمعي ما قالوه، قالو لي "ان لم
اصب بالشلل سأموت" لا اريد ان اصبح معاقة؛
الموت اهون....

_ ستعالجين وستشفين...

وهي تكرر كلامها، وأنا في صمت تام، وكلما تعيده، يمتلأ
رأسي بالضجيج والأصوات. ...

صرخت صوتا مدويا عليها...

يكفي....يكفي(سقطت على إثرها مغشاة على
الأرض....) وجدت نفسي في المستشفى، أمي بجاني

نائمة كمالك بريء، أما وجهها مصفر من
التعب، أصدرت ضجيجا جعلها تستيقظ.....

_ آه....أمي! أنا حقا آسفة....

_ متى ستفهمين يا صغيرتي وجع الأم... أنا لا أريد أن
أفقدك كما فقدت أباك....

_ أنا فقط لم أرد أن تحزني فما تعرضتي له كان
قاس..

_ ولو لم أعرف؟، أكنتي تظنين أنني لن أحزن!.. وأنا
أراك كل يوم تضعفين أمامي دون سبب....

_ أعدك أن أفكر في أمر العلاج من أجلك فقط... لكن
رجاء، لا أريد أن أبقى هنا أكثر....

_ رجعت في منتصف الليل، كان الوقت متأخرا، ذهبت
لأرتاح، وفي حدود الساعة 3 فجرا، سمعت صوتا
هادئا يأتي من بعيد.... سر خاطري، وشرح فؤادي،
وانقشع عني الشعور بالهزيمة والضعف، صوت ملأ
كياني راحة وسكينة، وجعل نفسي تفيض غبطة
وبشرا... ترى من أين يأتي هذا الصوت الرحماني...

_ "الله أكبر، الله أكبر. ... لا إله إلا الله. ..."

ورحت أستعشر لذة الإيمان في حلاوة الأذان وصوت التكبير، إلى أن وصل إلى مسامعي " الصلاة خير من النوم "، " الصلاة خير من النوم " جملة جعلت الروح تدب في جسدي، وتوقظني روجي، تقودني للوضوء. .. اقوم بحركات الوضوء دون أن أدرك أنني أنا من أفعل ذلك، وكأنما شخص يدفعني للقيام به، ركعتان في جوف الليل. ... كانت كافية لأن يسترد قلبي نورا يتسلل إليه ويضيئه وسط الظلام، يملأ وجهي بالنور، لم أكن أستيقظ لصلاة الفجر، لأنني كنت أسهر طوال الليل بأشياء لم تفدني ثم أنام كالمقتول. ... لا أسمع هذا الصوت أو ربما أسمعه إلا أن أذني تسد سمعي عنه. .. فكنت أضيع ذلك الوقت الذي يستحق أن أخشع فيه متضرعة إلى الله عزوجل. . ربما أنه من ضعفي اعتقدت أنه ليس لمرضي حل، نسيت أن الله إذا أراد أمراً أن يقول له كن فيكون، وما دام قلبي

ينبض بالإيمان فلدي أمل بالشفاء، كيف لا أحسن الظن بخالقي وهو من قال: " ادعوني أستجب لكم... "، سيخفف عني، ولي فيه رجاء ليس بعده

رجاء، وأمل ما بعده أمل، أليس فاطر السماوات
والأرض، هو من قال "وإذا سألك عبادي عني فإني
قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان. .."، فمئذ وفاة
والذي انقطعت عن صلاتي، وهو من أوصاني بها، لا
أدري لماذا انقطعت عنها وعن كتاب الله الكريم
حتى صار عليه غبار كثيف.

ازلت ماكان عليه من الغبار ورحت اغمره بقبلات
طافحة بالمودة فتحته لتقع على عيني اية غيرت كل
افكاري السلبية قال تعالى «ولنبلوكم بشي من
الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس
والثمرات وبشر الصابرين. . . » استفقت من اوهامي
ومخاوفي وبحبال الله شددت معصمي، وبه استعنت
في طريقي...

. . . بدأت حياة الأمل واشرقت شمس التفاؤل
مرحبة بعودتي اليها مجددا، وابتسمت لكل ما
حولي، وأعددت لأمي فطورا صباحيا، وانشغلت
بأعمال المنزل، فقد كانت تتعب وانا لم أبالي،
ووضعت خططا جديدة، واخرجت اوراقى وقلمي
الذي سانديني في حياتي وعبر عن بصمات تهاوني. . .
كنت أشتاق لأن اكتب بعد مفارقتي الطويلة لأكثر
شيء احببته في حياتي وعدت استبشر بطريق الكتابة.
. . . سأكون كاتبة. . . لا مستحيلا، آمنت بهذا
الشيء تحدثت مع أمي بخصوص العلاج، لآجربه
ولن اخسر، لطالما كنت

أقف بانتظار معجزة، أعادتي إلى صوابي، أناجي ربي
ولي دعاء في الليالي خافت، وأعدت التفكير في الكثير
من تصرفاتي

وقراراتي الخاطئة، الأمل هو من اعاد للحياة طمعها،
فالحياة لم تكن سوى مجرد لعبة لإختبار صبري
ومدى قدرتي على التحمل، لكن دوام الحال من
المحال ولا بد من الفرج. . .

بدأت بجلسات العلاج، وكنت أتردد إلى المشفى بين فترة وأخرى. خضعت للعلاج الإشعاعي، لأعطيكم فكرة حول علاجي؛ العلاج الإشعاعي أكثر علاج شيوعا، لورم الدماغ، تقتل الخلايا السرطانية دون أن تصاب الأنسجة الدماغية بالأذى، وفي كل مرة كان علي تكرار العملية أي تطبيق علاجات متعددة من جرعة قياسية من الإشعاع إلى الدماغ، إلى أن يصبح مجموع الجلسات التي خضعت إليها 10_30, هذا أعطاني حافزا لاستمرار العلاج، وفرصة أكبر للنجاة... كنت قد تركت مدرستي إلا أنني لم أستسلم، أصبحت أدرس في البيت والمشفى، بحضور فيديوهات تعليمية وتواصل مع أساتذتي، كما أنني خلقت فرصة لتطوير موهبتي في مجال الكتابة، فأصبحت أكتب عن مرضى السرطان وعن الأمل وكل تجربة مررت بها، لكي أوصول رسالتي للعالم، لم يكن المرض يؤلمني بقدر ما ألمني سقوط شعري كله...أصبح وجهي مصفرا شاحبا، ورأسي أصلع كما يقال، اختفا حاجبائي، حتى رموشي لم تعد موجودة... لن أقول أنني تحملت، فلم أستطع، لم أكن أعلم أن ذلك الامر بتلك الصعوبة، لن أقول أنني لم

أبكي، لم أصرخ ولم أحطم... قمت بكل شيء وانهرت
أمام الجميع، لكن خالقي زادني إيمانا بنفسي أنني
سأرجع كما كنت بل أفضل مما كنت عليه.

لا أحصي عدد المرات التي خرجت فيها دون أن
أعطي رأسي أو أفعل شيء لحاجباي، فأرى الكل
يضحكون على فتاة بدون شعر، لكنه عادي، ما عاد
الأمر يهمني، أكثر ما يهمني شفائي وعودة صحتي
وقوتي ورجوعي للدراسة، كاد رأسي أن ينفجر من
قساوة كلامهم، لكنني ضغطت على جرحي
واكملت... فمهما امتلئت دنياي بالسواد، هناك فوهة
نور، تضيء الأمل.. هناك أمل! يبصر في وجه الحياة،
لولا أنني لم أقرأ قصة سيدنا أيوب عليه السلام، فهو
أكثر مثال معبر عن الصبر، ولو أنني لم أسمع عن
قصص الذين مروا لما استطعت الوقوف على
قدمي...

وها هي الأيام تسرع للحاق بمركبها، اكتمل شبابي،
اصبحت كبيرة بعمر 18 سنة، ولا زال السرطان برأسي
وروحي، كبر معي، إلا أنني تعايشت معه، صار كفرد من
حياتي، في هذا العمر كان مصيري في الحياة، لم أستطع
للحاق بصفوف المدارس، بعد أن درست 5 سنوات

بجهد وتعب، وحققت نتائج مرضية تجاوزتها إلى
البكالوريا، فلم أستطع المشاركة بسبب وضعي الحرج
إلا أني لم أحزن وما فشلت، بقيت أدرس..

ذاك العام شهد تغيرا جذريا لمجريات حياتي، وأخيرا
قررت أن أجري العملية، لأعود لطبيعتي، بعد كل
تلك السنين، أصبحت فتاة يحتذى بها في كل
مضرب.. كنت متوترة من عمليتي إلا أنني قررت ولم
استطع التراجع بعد ان وصلت لتلك اللحظة، كانت
فرصتي الأخيرة إما النجاة أو أرحل إلى مثواي.. فكرت
بعناية في الأمر، لأكتب رسالة إعتذار لأيي التي
تحملتني ووقفت معي طيلة مرضي، وقبل أن يكون
المرض، كان بأسى الشديد... بين ثنايا الحروف قلت
لها:

_ إلى التي تحت أقدامها الجنان تفتحت...

_ يا من حملت في بطنها تسعة أشهر وتحملت.

وإذا همست لرب السماء، أبوابها استجابت..

سامحيني لأني قصرت بحق وصية من الله أنزلت.

قد قالوا فيما سمعتي: بالسرطان قتلت..

لا تحزني أماه! لا تندبي علي إذا إلى المولى ارتحلت..

لا تذرني دموعا على ما مضى قولي انها ارتاحت..

أمي؛ قد نعتوني بإسم سرطانية تحدث..
الموت والمرض، ولأوجاع دنياها قاومت..
لك السلام مني، إلى الله الملتقى لو طالت...
بنا السنين يا أمي.. عليك سلام الله ورحمته...

حان وقت عمليتي، لا أعرف شعوري، هل سأترك أمي وكتاباتي!؟ أم أني سأحيا حياة جديدة؛ لن أعلم..
..أعطوني مخدرا ليغمى علي، لم أحس بشيء، كأني لبثت شهورا وأياما وسنين، لقد قام الاطباء باستئصال أكبر قدر ممكن من الورم، عن طريق عملية الفتح والتوضيع التجسمي، لأنه في حالتي، كان الوصول إلى الأورام ممكن وحالتي الصحية جيدة، بعد أن سيطروا على اورام الدماغ باستخدام المعالجة عن طريق الأشعة، إن فكرة إمكانية إصابتي

بسكتة دماغية وفقدان ذاكرتي هي من أرعبتني منذ البداية بأن أرفض الجراحة...بعد كل ذلك السبات العميق. غفوت لأستيقظ، كل ما جرى لي منذ صغري حتى وقت العملية خطر في ذهني أثناء غيبوبيتي كشريط قصير، كأنه كابوس وانتهى، حلم طويل عايشته...وبمجرد إستيقاظي إنتهى الحلم البشع، وجدت صعوبة في الإستيقاظ، ما إن فتحت عيني تدريجيا، حتى غمرتني سعادة لا توصف، تهللت أساريري ورأيت أمي بجانبتي وقد إرتسمت الفرحة على وجنتيها، و لمعت عيناها بومضات البهجة والسرور،

وجدت نفسي حية أرزق. ..مضى! كابوسي
ومرضي؛مضى..مواقف أثارت ضحكي ودفعيني
للقهقهة دون سبب، لازلت على قيد الحياة.

حمدت الله على لطفه بي وبمصييري، وبعد مرور
أسبوعين خرجت من المستشفى مع أني لم أكن
أطيق المستشفيات، ولا أخفي أني خضعت أيضا
لإعادة التأهيل بعد العلاج، وكان مهما لشفائي التام،
خضعت للعلاج الطبيعي، الذي يساعد على اكتساب
المهارات الحركية والعضلية، التي يفقدها
المريض، والعلاج بالعمل للعودة إلى روتين العمل
اليومي، والأنشطة المختلفة...

ثم عدت لنقطة الصفر، كانت عاقبتى خيرا بعد أن
ذقت مرارة الصبر، وتيسرت أموري بعد الضيق
والعسر، وصبري عند مصيبتى كانت إيمان وعوضت
بها، فدواء الدهر الصبر عليه، كما كانت لكتاباتي
الفضل أيضا فبدون الكتابة لم أتجاوز شيئا، صحيح
أن الكتابة كانت تعني لي الكثير في حياتي، لكن بعد
مرضى؛ كتبت لأكسب بها بعض النقود، وبيع بعض
القصص والحكايا التي ألفتها، حصلت بها على مال
أكثر مما كنت أتوقع، لكن لم أكن بحاجة إليه ولا

الشدّة جعلتني أقوم بهذا، إنما أعطيتها لأمي كي
تسترجع بيتنا القديم.

اين ولدت؛ بيت ذكرياتي وطفولتي، وبالفعل حصل
الأمر واسترجعنا بيتنا، عدنا إليه والعود محبب في
أنفسنا، أخيرا استطعت ان أفلح في أمر كهذا، عليها
روح والدي تكون ارتاحت، وبعد أن تأخرت عاما في
اجتيازي للباكوريا، عاودت اجتيازها ثانية بعد أن
شفيت ونبت شعري شيئا فشيئا حتى أصبح كشعر
باقي الفتيات، وكانت تجربة فريدة من نوعها،
مستعدة نفسيا وجسديا بكل يسر، متوكلة على
المولى، حتى أن كل حياتي كانت تجارب استخلصت
منها دروس وعبر، وتوفقت فيها، مرت تلك التجربة
بروح المرح والتفاؤل، ونجحت بتوفيق الله ثم من
والدي، وحصلت على منحة دراسية، لأروع بلد
تمنيت زيارته مع والداي، لكن للأسف ذهبت
لوحدي، مع ذلك كنت مسرورة جدا، بلد غمري
بفضله وبجوه الرائع، "أندونيسيا الحبيبة" لا أصفها
في كلمة وكلمتين، إنها مدينة جميلة كجمال سيدنا
يوسف الصديق، وأجمل ما رأته عينا، كل شيء
فيها جذاب للأعين وملفت للانتباه، درست في
جامعة "شاه كوالا" والتي تقع في مدينة تسمى

ب"باندا آتشييه" وبعد تخرجي توجهت لعاصمة اندونيسيا، واستقرت بجاكرتا، مدينة الألف جزيرة، لأن لها جزر صغيرة بالقرب منها متناثرة، يسكنها الهدوء والهواء النظيف، وتحتوي على شواطئ رائعة ورمال ذهبية، وهي تتميز بطابعها الخلاب، و استطعت التأقلم مع الوضع ومع ثقافة الأندونيسين

وها أنا! من هاته المدينة الرائعة، وعلى صباحي المشرق، من أمام شرفتي، أروي لكم تفاصيل حكايتي، ولعلي اختصرها في عبر ومواعظ استنتجتها من حياة اليتيمة، وحياة المصابة بالسرطان، أن الحياة ليست سوى مدرسة تعلمنا الكثير من الأشياء، لنكون ذوي تجارب، وأصحاب خبرة، عرفنا فيها الفشل والنجاح، السقوط والنهوض، أن نسقط لا يعني أن نبقى على تلك الحالة، بل نهض مجدداً، ونحاول وإن فشلنا مئات المرات، فالفشل ما هو إلا أولى خطوات النجاح، وأن نخفق مرة أو اثنتين لا يعني الوصول لحافة الطريق، ما زال هناك ما ينتظرنا، والدنيا لا تمنحنا سعادة مدى الحياة، بل السعادة التي نصنعها نحن بأنفسنا ونخلق فرصاً جديدة للحياة، فمهما كان لا بد وأن تمر علينا رياح عجاف، وهذا لا يعني أن الحياة انتهت، بل نحن من شدة تعلقنا بها، ما عدنا

نظن سوى أن الدنيا كلها يأس في يأس وظلام في
ظلام، ركزنا على ما تمنحه الأيام دون أن نركز على ما
نصنعه نحن لنستحق ما منح لنا، فهي إن ضحكنا
ضحكت معنا وإن حزنا يوما فسنكون لوحدنا، لا
دائم لنا في هذه الحياة، لا تظنوا أن العوائق
والابتلاءات أكبر المشاكل التي تواجهنا في الحياة، بل
ما نحسبه هين هو عند الله عظيم...

وما أضيق العيش لولا فسحة الأمل، فكلما تعرضنا
لكربة علينا تجاوزها بالصبر والأمل، ونطرد من الدهن
والروح شبح اليأس والإحباط... إن أكبر خطأ قد نقع
فيه هو أن نجعل ماضينا يتحكم في حاضرنا
ومستقبلنا، لذا نحس دوما بالعجز، فلا تدعوا أحدا
من ان يمنعكم من الوصول إلى الأهداف وتحقيق
الأحلام، حتى الماضي، لأننا نحن الحاضر
والمستقبل، ولنركز دائما للنظر إلى الحياة من الناحية
الإيجابية، حتى لو طغت عليها آلاف السلبيات.
.... الدنيا ممر مؤقت ومعبر قصير، فلما نضيع وقتنا،
فقط حاولوا أن تصنعوا لأنفسكم اسما لامعا يقودكم
للقمة... قد تغلق الحياة أمامنا الأبواب، وتسد عنا
الطرق، وتلقى الضربات التي تعصف بنا مرة تلو
الأخرى، لا يجدر بنا أن نستسلم لبداية الطريق، بل
علينا كسر حاجز الخوف، خلقنا لتحقيق الأحلام
على أرض الواقع، لنصنع النجاح بأنفسنا ولأنفسنا،
ولا نترك مجالاً للآخرين لانهيئارنا، لنؤمن بمقولة
"حاول وستنجح!"، ولنحذر من التهرب من الواقع
واللجوء لعالم الخيبة، أو أن نقع فريسة الانتظار،
سنواجه فقط لنستطيع الوصول.. ولطالما كانت

أحلاما أخرى لم تكتب لي بأن أحققها، فما وصلت إليه جزء بسيط فقط، وإن كان لعمرى بقية، أو لنفسي فرصا، لن أتردد في اغتنامها لأحقق أمنياتي جميعا، لقد كانت تجربة المرض بالسرطان لي منفعة، بالرغم من أن مخاطرها كبيرا، لكن مرضي يستحق بعدما وصلت وسعيت، وإلى هنا انتهت رحلتي، وانتهت المغامرات، لكن من يدري لعل القادم مليء بأكثر من تلك المغامرات التي مررت بها....

لأنك لا تعلم اين الخير المناسب لك. ..فلا يمكنك
أن تحزن، الله يقدر لك الخيارات المناسبة.
..وبالزمن وبالطريقة التي تتناسب مع حاجتك
للتعلم...امسك بنفسك عندما ترى انك على حافة
السقوط...وتمسك بالحياة في اللحظة الأخيرة،
وامسح خيبتك الكبرى، وانثر الأمل في كل طريق تمر
به.

_ربما كانت حكاية الصراع مع السرطان وحكاية اليتيم
قصيرة، لكن المغزى كبير. ..من همسة إلى مرضى
السرطان....

تبت بحمد الله